مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

الصورة الفنية في ديوان العتبي

فاطمة عبد العظيم كاظم
مديرية تربية الرصافة، وزارة التربية، بغداد، العراق

التخصص العام للبحث: ادب حديث	التخصص الدقيق للبحث: نقد ثقافي

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:
الصورة الفنية، الديوان العتبي

المستخلص باللغة العربية:

يروم هذا البحث دراسة الصورة الفنية في ديوان العقبي العباسي الذي حجمه الدكتور مجاهد مصطفى بهجت واضاف الدكتور يونس السامرائي بعض النصوص عليه، والعتبي شاعر عباسي تمتد جذوره الى البيت الاموي، وفي لقبه العتبي اراء كثيرة ابرزها نسبه الى جده عتبه بن ابي سفيان، وكان معظم شعره في رثاء ابنائه الذين توفوا الواحد بعد الاخر في وباء الطاعون.

https:// doi.org/10.63797/bjh.

المقدمة

يروم هذا البحث دراسة الصور الفنية في ديوان العتبي وإبراز القدرة التصويرية، والجانب الحسي للشاعر الذي جاء مشحون بلومات تصويرية متكاملة صادقة عبر فيها العتبي عن حالته النفسية التي أفاضت قريحته لوعة وأسرار وحزن وتجربة مؤلمة عاشها الشاعر لفقدان أبنائه بالطاعون ولشدة مصيبته جاءت أغلب أشعاره عبارة عن مرثيات صادقة، والتي عدت أهم أغراضه إضافة إلى الغزل والفخر والمثل ومكارم الأخلاق وشعر الأخوانيات والأصدقاء .

اسمه محمد بن عبيد الله بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان الأموي العباسي البصري، أبو عبد الرحمن، وجاءت ألقابه فالأموي لأن نسبه ينتهي إلى بني أمية، وعباس لأنه أدرك العصر العباسي وبصري لأنه عاش في مدينة البصرة، واجمعت المصادر على وفاته كانت في سنة 228هـ وأغفلت ميلاده، وجاء أغلب شعره في رثاء أبنائه [1] .

وقال عنه ابن النديم، كان العتبي وأبوه سيدين أدبيين فصيحين والعتبي كان شاعراً ولم يكن أبوه كذلك، ومن مؤلفاته كتاب الخيل وكتاب أشعار الأعاريب، وأشعار النساء، وكتاب الأخلاق وكتاب الذبيح [2].

أولاً: الصور البصرية :

يطلق الشاعرالعنان لخياله لايصال صور حسية مملوءة بالاحاسيس والمعاني الموحية والانفعالات بوساطة الحوار ومنها البصرية التي تؤكد مقدرة الشاعر في استيعاب الموقف الذي يعالجه بقدرة وحيوية [3] وحاسة البصر يستشعر بها وخلال ابراز الصورة واثرها النفسي والعقلي كقول العتبي [4]:

ألا يـزجـر الـدهـرُ عـنـاّ الـمـنـون ... يُـبـقـي الـبـنـات ويـفـنـي الـبـنـيـنـا
وأنـحـى عـلـي بـلا رحـمـةْ ... فـلـم يـبـق لـي فـي جـفـونـي جُـفـونـا
وكـنـت أبـاسـتـه كـالـبـدور ... افـقـي بـهـم أعـيـنَ الـحـاسـديـنـا
فـمـروا عـلـى حـادثـات الـزمـان ... كـمـرَّ الـدراهـم بـالـنـاقـديـنـا
و ألـقـيـنَ ذَاك اِلـى ضـارجٍ ... وألـقـيـنَ هـذا الـى دافـنـيـنـا
فـأفـنـتـهـم واحـداً واحـداً ... إلـى أن أبـادتـهـم اجـمـعـيـنـا
ومـا زال ذلـك دَأب الـزمـان ... يُـفـنـي الأوائـل فـالأولـيـنـا
وحـتـى بـكَـرا لـي حُـسـادهـم ... وقـد أفـرحـوا بـالـدمـوع الـجُـفـونـا
وحسـبـك مـن حـادثٍ بـامـرئ ... تـرى حـاسـديـه لـه راحـمـيـنـا

في الابيات صور تنبض بالحركة ونلمح عاطفتين عاطفة الحب للابناء وعاطفة الحزن والفقد والشماتة واعتمد الاسلوب التصويري في نقل وفاة ابنائه المتسلسلين واشاعة جوهر الحزن الذي هو فطرة بشرية جعلها الله في قلوب عباده اذ يشعرون بلوعة الفقدان ويتذوقون حرارة المصاب والشاعر يعبر عن ألمه بالدموع وحتى هذه الخسارة ليس لها من وسيلة غير الدموع والاسى الى ان جفت جفونه من الدموع ومتى يحافظ على استمرارية الفجيعة بالموت الذي لا يعرف الرحمة جاء بالافعال المضارعة (يزجر، يبقى، يفنى، اليقين، افنتهم، ترى)، وللدلالة على وقوع الحدث القطعي الذي لا رجعة فيه جاء بالافعال الماضية (مر، زال، بكى، حسبك) واشبع الابيات بالفاظ تدل على الحزن والفقد مثل (الدهر، المنون، بلا رحمة، جفوني جفونا، حادثات الزمان، دأب الزمان، دافنينا، ابادتهم)[5] فالغضب من الدهر الذي لا يتوقف عنه المصائب فغابت عن نفسه الراحة وبقى حرارة المصاب ونفاذ الصبر الى ان رحمهُ حتى حسادهُ وبدا باسلوب التخصيص بقوله ألا يزجر وفيه ازدراء شديد للدهر الذي جعله كالانسان الذي جاء بالموت وأخذ كل الاولاد وابقى البنات ويطلب منه الاكتفاء بما كان اخذه منه بدون رحمة وتبدأ معاناة الشاعر وشعور النفسي بفقدان اولاده حتى نفذت كل دموعه وقسم الشاعر حزنه الى عدة محاور منها [6] .

1- المحور الاول : حزنه على ابنائه الذين فقدهم الواحد تلو الاخر بسبب وباء الطاعون .
2- المحور الثاني : الحزن على ما سيواجهه من الصراع الحتمي مع الموت الذي تكرر على ابنائه الستة فالحزن يلف اجواء الابيات والموت يمشي في ثناياها حتى كأننا سنشاهد رجلا ميتا في الحياة والمه ليس فقط نفسيا وانما هو الم حسي وجزء لا يتجزا من الحزن الانساني الذي يعيشه المجتمع وهي استعارة.

ونرى بعض الاساليب البلاغية منها التجسيم الذي اعطاه للدهر كانه انسان وياخذ ويعطي، كذلك التشبه من قوله ابا سته كالبدر للدلالة على جمالهم واستخدم التشبيه للتاكيد على سرعة وفاتهم بقوله فمروا على حادثات الزمان كمر الدراهم بالناقدينا، وذكر الدموع كناية عن الحزن والسهر كناية عن القلق[7].

كذلك وكانت موسيقى الابيات متناغمة حيث الاحداث المتسلسلة في موت ابنائه ودفنهم بشكل بسيط يجعل المتلقي يتفاعل مع حزنه ويعيش مأساته في جرس موسيقى وايقاع سلس حزين بالفاظ سهلة في وصف معاناته،

وظهور قوي لشعوره النفسي وهي معاناة حقيقية لإنسان كسره الزمان من الفقد فأصبح غاصباً ومتألماً من القسوة وشماتة الناس [8] .

وفي صورة اخرى يقول العتبي[9] :

وصـــــاحـب لـي أبنيـه ويهـدمني ... لا يســـــتـوي هـادم يـومـا وبـنـاءُ
إذا رآنـي فـعـبـد خـاف مـعـتـبـه ... وان نـايـت فـثـم الـغـمـر والـداءُ
لا يقطع العين منـه عن ملاحظـه ... كـانـهـا لاســـتـراق الـطـرف حـولاءُ

وبأسلوب خبري جاء الشاعر بصورة بصرية للرجل الذي اطلق عليه بـ(صاحبه) وقارن بينه، إذ يدعو للبناء وصاحبه الذي يهدم وشتان ما بين الهدم والبناء، أو الإعمار والتخريب، فالصاحب كان المراقب والمختلس النظر وسلوكه غير الاسلامي والاخلاقي الذي يسبب للشاعر الألم الذي يحسه الشاعر وهو في حالة الضعف بينما الجانب الاخر في حالة قوة [10]، فالصديق ينكر بصديقه وكل همه الوشاة وبالغ في تتبع الشاعر الذي له اثر مادي ومعنوي عند اقرارة بحتمية المتابعة له والتعظيم من شان الفعل كرر فعله بالفاظ مشابهة في المعنى (الغمز، لايقطع العين، ملاحظة، استراق الطرف) كلها تشير الى محاولة اسقاط الشاعر الذي عبر في كلماته عن فطنته في فهم النفس البشرية وغايته الحاق الاذى به وهي صورة غير متكافئه لها يدعوه الشاعر سبب بالصاحب وما يفعله الصاحب من عدم الايفاء بالجميل الذي سبب الحزن والالم العميق ودلالة على استمرار الفعل جاء بالفعل المضارع عما يفعله الصاحب بقوله (يهدمني، لا يستوي، يقطع، استراق) حيث الحركة المسيطرة على الصورة البصرية الذي لا يتواري، من التهديم والمراقبة المستمرة له والابتعاد عنه خوف من العتب والتكبر والاعراض بالوجه والاشارة بالعين لاظهار العيوب الظاهرة والباطنة بالنظر والملاحظة التضاد بين الشاعر وصاحبه .

وهذه صورة بصرية أخرى[11]:

وقـائـلـةً مـا بـال خـدّك كـلـمـا ... رآنـي بـلـقّـانـي بصـــغـره جـلـبـاب
فقلـت كـذا بـدر الســمـاء إذا بـدا ... أفـاض عـلـى الـغبراء صـــفـرة زريـاب

هذه صورة نمطية للثقافة العربية عن المحب والاضطراب النفسي الذي سبب للشاعر إصفرار الوجه، فالعاطفة عند الشاعر قوة مهيمنة وللون الأصفر رمزية متعاكسة فهو يدل على (التفاؤل، والبهجة، والطاقة، والنشاط، ومصدر الضوء)، وأيضاً: (المرض، والغيرة، والذبول، الحزن)، لكن العتبي حول هذه الصورة الحسية من علامة الضعف (الصفرة) على وجه وهي دالة سلبية إلى دالة إيجابية بـ(البدر) الذي هو رمز للجمال والهيبة والكمال بتشبيه إصفرار الوجه عند اللقاء إلى إشراق القمر عند الطلوع، وقلب الصورة من الضعف إلى الجمال، ثم يقول أفاض على الغبراء صفرة زرياب واسم زرياب له دلالة رمزية، فهو الشاعر والمغني والعازف والشاعر والملحن[12]، فهو رمز للترف والجمال والاتيكيت والموضة والأناقة في قرطبة ليؤكد التشبيه بربط القمر عند طلوعه الذي يغض امتلاءاً وانتشاراً للضوء ويربطه بالترف والجمال الذي دل عليه الشاعر زرياب.

فالشاعر (المحب، بناء، الاقتراب، العتب، مشاعر نبيلة) والصاحب (غير محب، هدم، ابتعاد، مراقبة، مشاعر بغض)

لقد استخدم الشاعر الفاظ سهلة سلسلة واضحة فيها طاقات متنوعة كالطباق بقوله (البناء، الهدم) كذلك (رآني، ناديت) ونرى ترابط بين المستوى الايقاعي والمستوى الصوتي الذي يفرضه السياق كذلك قدرة الشاعر الابداعية وامتلاكه ادوات التعبير تبدو واضحة من خلال تصويره لعمق العلاقة بين الصديق والشاعر فهو لم يصرح

بهوية الصديق الغائب واهتمام العتبي في رسم صورة بلاغية وأخلاقية لأنها وصف نفسي دقيق كتلك العلاقة في محاولة لايصالها للمتلقي الذي يدفعه الشاعر لرواية ظلم الصديق وفي صورة بصرية اخرى عدم الكبر بقوله [13]:

لما رأتني هند قاصراً بصري ... عنها وفي الطرف عن امثالها زور
قالت عهدتك مجنون فقلت لا ... إن الشباب جنون برؤه الكبر
من عاش اخلقت الايام جدته ... وخانه الثقتان السمع والبصر

الأبيات فيها بعداً تأملياً عميقاً في حياة الإنسان نتيجة تقلبات الزمن ومن المحاورة بين الشاعر والمرأة (هند) نرى صورة بصرية يعبر فيها الشاعر عن مرحلتين في حياة الإنسان:

الأولى: شبابه الذي وصفه بالجنون وهذه استعارة أراد الشاعر تصور اندفاعاته وتهوره وشغفه وتعمده التغافل عنها، كلها من نزوات الشباب .

الثانية: حيث استخدم الشاعر الفعل الماضي اخلقت حتى يفجر طاقة الفعل اللغوية ليصل ابتلاء الأيام وتقلبات الزمن التي تستهلك الإنسان وتخونه حواسه التي شخصها (السمع والبصر) وعدهم كأصدقاء الذين خانوا صاحبهم بعد أن ثقلت حركته وإحساسه بالضعف بعد أن تدرج أموره من الشباب والحيوية إلى خيانة الجسد والشيخوخة ليبدو الإنسان أكثر حكمة ووقار وإدراكاً، وينتقل في حياة من الصورة الحسية إلى النفسية ثم الفلسفية.

وفي صورة بصرية اخرى [14]:

فتكت بمهجتي عمداً، فهلا ... طويت الجرم في ثني اعتذارك
أرى نار الصدود على فؤادي ... فما بال الدخان على عذارك

يخاطب الشاعر محبوبته بصيغة غزلية لترسيخ قيمة اجتماعية أخلاقية لا نراها كثيراً في المجتمع العربي، وهي ثقافة الاعتذار الذي يعتبر فضلاً نبيلاً للتوازن في العلاقات بين الأفراد ، والعتبي يعاتب محبوبته بشكوى رقيقة مغلفة بطلب اعتذارها، فهو لا يذكر الأذى الذي سببه ولكنه يطلب الاعتذار، وتقابل طلبه بخفائها وصدودها الذي يحرق نار قلبه ليعكس استعارة مكنية من تشبه الصدود والجفاء بالنار كذلك شبه الجفاء بعملية القتل العمد، وهذا استعارة أخرى فيها تعمدت الحبيبة الأذى للشاعر ، أما قوله (طويت) التي تأتي بمعنى الستر والاخفاء لبيان أن الاعتذار كالثوب الذي يخفي داخله الجرم، فالشاعر لم يرد زوال الذنب بل تلطيفه بالاعتذار.

أما معاناة الشاعر مستمر وليست لحظة عابرة من ردود أفعال الحبيبة لذلك يقابل بين الدخان على عذارى/ نار الصدود التي تحرق قلبه، ويصور حالتها النفسية بتناقض الحبيبة، فعلى الرغم من صدودها لكنها تشاركه الألم العاطفي ليكون الشاعر توازناً فنياً يشكل طباق غير مباشر بين (نار/ دخان)، (القلب/ الوجه)، (المشهد الحسي/ المشهد المرئي)، لنصل إلى خلاصة البيت الذي يصف إحساس الشاعر بالألف العميق على أفعاله الجارحة المتعمدة ويطلب الاعتذار لمحو الجرم ولكن محبوبته تقابله بناء الصدود رغم الألم غير المباشر الذي اعتلى على وجهها.

نرى هنا الحوار بين الشاعر والمراة وهذه المحادثة الخبرية التي يصورها الشاعر مع المراة المسماة هند التي تعاتبه على قلة اهتمامه بها فتاتيها الاجابه ان للسن احكامه وتستمر المناقشة بينهما فهي تذكره بجنونه في شبابه ونزواته وهو يخاطبها بانه خالص النية سليم من كل طيش الشباب وبروز الشيب جعله اكثر حكمة ووقاراً وتجاربه السابقة تمنعه من كل محرم ونرى الابيات التي تنطوي على معنيين متلازمين الاول (الشباب) والثاني (الكهولة) فبعد ان كان شابا متفجرا بالحيوية والاندفاع والتهور وتحرك الزمن فأصبح لا يقوى على شي مغلوب

على أمره، فتحولت الصورة الحسية إلى ذهنية إنسانية تبين تصرفه كان طيش شباب، واستخدمه للفعل الماضي اخلفت الذي فجر كل طاقة الفعل اللغوي به ليصل على انه اصبح من الماضي لا يمكن ان يرجع الزمن والشاعر يرى كيف استنزف شبابه وجنونه، لقد عاش التجربة الانسانية ولكن تحرك الزمن فضاع عمره في العبث الى ان ثقلت عليه حياته ودبت الشيخوخة واصبحت تثقل عليه حركته واثرت على حواسه (السمع والبصر)، لقد توقفت هذه المحسوسات (العين، الأذن)، كأنهما أصدقائه ليعمق الإحساس بالظلم وتأجيج المشاعر والاحاسيس بالظلم عند للشاعر لتصبح أبياته تأملاً عميقاً في حياة الشاعر وتقلبات الزمن، حيث انتقل بها من الصورة الحسية إلى النفسية ثم الفلسفية.

وفي صورة بصرية اخرى قال العتيبي[15]:

أيا ضـــرة الشـــمس المنيرة بالضـــحى ومن عجزت عن كنهها صـــفـة الورى
عـذرتـك إن لـم أحظ منـك برؤيـه فـأنـت لـعـمـري الـروح والـروح لا تـرى

صورة غزلية جميلة اخرى بدأها بـ(أيا) نداء يدل على تعظيم المحبوبة في نظيرتها، وتشبه المخاطبة ب ضرة الشمس المنيرة وقوة الشمس وانما تكون في الظهيرة حيث توهجها واعتاد الشعراء على تشبه المراة بالشمس فكانها توام المراة .

صورة جميلة بصرية اخرى يشبه العتبي المراة التي يتعزل بها بضرة الشمس والضرة كما هو معروف الزوجة الثانية للمراة وتكون منافسة على الرجل وهنا المرأة والشمس والاثنتان متوهجان وتوهج الشمس يكون عادة اقوى في الضحى فهي محبوبته متوهجة منيرة وهي صفة تجعلها مختلفة عن الناس جميعا كذلك هذه المرأة يتمنى الشاعر ان يحصل على نظرة منها ولكنه يعذرها لانها شبيه الروح التي في جسد الانسان وهي الروح لكن الروح لا ترى، والانسان يموت بدون هذه الروح فالروح والحبيبة طرفان متناقضان ويدعى للمتناقضان ان يلتقيا عند رؤيته حبيبة لو لحظات، فالصورة تتسم بالحركة والتوازن الجميل مما يعطي إحساس بالجمال والهدوء والمبالغة في التغزل بالمحبوبة [16] .

ونرى الشاعر يبدأ ابياته باسلوب النداء الذي يكون للقريب للتركيز على الانفعال الداخلي كذلك الانسجام بين الراءين في (ضرة، المنيرة) جعلت البيت الشعري اجمل وادق لخفة الراء عن حروف الضاد (ضرة، الضحى) كذلك التكرار في البيت الثاني (عذرتك، برؤية الراء، الروح، الروح لا ترى) اعطت رقة

وصورة بصرية اخرى[17]:

ولـمـا رأيـتـك لا فـاسـقـا قـويـا ولا أنـتَ بـالـزّاهـد
ولـيـسَ عـدَوّكَ بـالـمـلـتـقـى ولـيـسَ صـديـقُـكَ بـالـحـامـد
إقمتُـك في الســوق سُــوق الرقيق ونـاديـتُ هـل فـيـكَ مـن زائـد ؟
عَـلـى رجـلٍ غـادر بـالصـديـق كـفـور لـنـعـمـائـه جـاحـد
فـمـا جـاءنـي رجـلٌ واحـدٌ يَـزيـدُ عـلـى درهـم واحـد
سـوى رجـل خـانـهُ عـقـلـهُ وحـلـت بـه دعـوةُ الـوالـدِ
فـبـعـتـكَ مـنـه بـلا شـاهـدٍ مـخـافـة ردّك بـالشـاهـد
وأبـتُ حـمـيـدا إلـى مـنـزلـي وصـلّ الـبـلادُ عـلـى الـنـاقـد

الصورة تحمل طابع هجائي بتصوير شخصاً سخر منه العتبي فهو ليس زاهد ولا فاسق، وليس له قيمة، وشبه بالعيد المعروض للبيع وبالغ في سخريته فلا أحد يريد شرائه، ولو بدرهم واحد، وهنا تعليل من قيمته، والصورة البصرية فيه كثيره، منها المحسنات البديعية ومنها الطباق بقوله (فاسقا، زاهد)، (عدوك، صديقك) والجناس قوله (واحدُ، واحد) و(شاهدٍ، بالشاهد) كذلك جاء باسلوب الاستفهام هل فيك من زائد ؟ لتوكيد المعنى واستخدام الفعل الماضي يعد حضوراً قويا ومكثفا في تماسك الابيات .

ثانياً: الصورة السمعية

ان الصور التي أثرت على الملتقي الصورة التي تعتمد على حاسة السمع في رسمها، فالشاعر يكون مفعم بذكريات واحاسيس ومشاعر خصوصا عند ارتباط الاحساس بالصوت وعلى الاخص الصوت الانساني.

تحتل حاسة السمع مكان بارزا في رسم الصورة الشخصية من خلال خصائص الاصوات، فالصورة الشخصية هي اولى الافكار التي تنشا عندنا قراءتنا للشعر، وهي الافكار التي تحدثها الكلمات ذاتها وهي ما يمكن تسميته بمدلالات الكلمات غير ان هناك افكاراً قد تحدثها الصورة اللفظية والسمعية مثلما يحدث في حالة الالفاظ التي تحكي الاصوات، والشاعر يكون مفعم بالذكريات والاحاسيس والانفعالات والمشاعر خصوصا عند ارتباطها بالصوت وعلى الاخص الصوت الانساني [18] .

جاءت الصورة السمعية عند العتبي نتيجة احاسيسه وانفعالاته فرسخت صورة صادقة من خلال شدة معاناته وباستخدامه الالفاظ بصيغ وصور متنوعة ومنها قوله[19]:

الى كم يكون العُذر في كل ساعةٍ ولم لا تملينَ القطعية والهجرا
رويداً فإن الدهر فيه كفايةُ لتفريق ذات البين فارتقب الدهرا

بأسلوب الاستفهام يقدم الشاعر السؤال للمرأة التي يخاطبها حيث الشاعر يعاني من الضيق بتكرار عبارة كل ساعة التي توحي باستمرار المعاناة من تذبذب المرأة في علاقتها معه بين القطعة والهجران[20]، وكثرة الأعذار التي تقدمها المرأة (المحبوبة) في هجرها، والشاعر سخر ازمته النفسية بجل طاقته في تصوير فراق ورجوع هذه المرأة التي استوحت على وعيه وتفكيره بحيث اختار الكلمات التي تتناغم مع حالته النفسيه الهجر المرأة له وجاء بالطباق بكلمة (الدهر) و(الدهر) الثانية، وتقوم الصورة السمعية على تردد الصوت البشري على اختلافه وانواعه من الضعف والشدة واللين والقوة، وهي شكوى فيها العتاب ولوم واستياء من ضياع علاقته والرغبة في ترميم العلاقة، كقول الشاعر [21]:

مثلما وقع اليأس تناسوك عن ذكر
وفي الاحشاء من ذكرا ك ماجلّ عن الصبر

ان الزمن شعوري نفسي من حيث إنه لا يجد مستقلا عن تجارب وخبرات النفس الانسانية، وهو ما عني به علم النفس الذي اتخذ الانسان موضوعا له ككائن حي مستقل، يرعب ويتحسن ويدرك وينفعل ويتذكر ويتخيل ويذكر هذا هو الزمن الذي يعيشه الشاعر[22]، عند وقوع المصيبة نسوا احبابه واصحابه ذكره وهي كناية عبر عن ظلم الناس له بقوله في الأحشاء التوضيح شدة المعاناة في حين كان يذكرهم ويقف معهم في مصائبهم ونرى الزمن يوثر على احساس الشاعر الذي فقد الراحة فيها احساسا نفسيا عميقا من خلال استخدامه للفعل الماضي (وقع) في زمن الماضي ثم اضاف زمنا ماضيا اخرى (تناسوك)، أي التعمد في التجاهل فاستخدم الطاقة اللغوية للافعال الماضية ثم اتى بالمصادر ذكراك، الصبر وكل يؤدي الى مسحة الحزن والالم النفسي في قلبه من اجزاء احساسه

بالظلم وتركه وحيداً في مصائبه، والصورة بين التباين بين الظاهر والباطن وإبراز الألم والصراع النفسي عند العتبي، وفي صورة اخرى[23]:

سـلامُ على الإخوان والعتبي بعده ومن كُنتُ أصفيه الهوى وأعاشره
وَمن كَانَ يسلي الهم عني حَديثه إلى إذا ضَاقت بأمري قصادره
فإن أسلُ عَن شيء فما عنه سلوةٌ ومهما أضيفهُ فإنيَ ذَاكره

اختار الشاعر حرف السين ليكسب جرسا موسيقيا حيث يتكرر الحرف في قوله (يسلي، أسل، سلوة، سلام) بلغة مشحونة بالعاطفة لتدل على قوة شاعريته ورقة طبعه حيث مزج في رثائه لصديقه بين عاطفة الحب للصديق الذي كان يسليه ويبعد عنه الهموم كلما ضاق صدره، وعاطفه الحزن والألم المتغلغل في اعماقه لفقد احبائه واستخدم اسلوب الاستفهام بالسوال عن من كان يزيل همه ويخفف عنه الالام والمعاناة والمصائب التي حلت عليه ثم يخبرنا في البيت الثاني بان لا يستطيع نسيانه وكان يبحث عنه دائما، وقد وظف العتبي الالفاظ في سياق حزين حيث الاهات والحسرات على فقدانه وسعى الشاعر لابراز حزنه وضعفه لفقدان ما يرفع عنه الهموم، فالصورة كلها تعبر عن الوفاء للغائب مع العجز عن نسيان الصديق فيعطي إحساساً بالاستمرار والحنين، ويقول في صورة سمعيه اخرى [24]:

وَعَمّا قليلٍ لن ترى بَالحيا لنا سَيضحَكُ من يبكي ويعرِضُ عن ذكري
ترى صَاحبي يبكي قليلاً لفرقتي ويضحكُ من طُولِ الليالي عَلى قبري
ويُحدِثُ إخواناً وينسى مَودتي وتشغلهُ الأحبابُ عنّي وعَن ذِكريّ

نرى في البيت الاول صورة بصرية وصورة سمعية وقد صور الشاعر نفسه مع اصحابه عند موته وللدلالة على الاحداث الحاضرة واستمراريتها، وهذه النظرة الواقعية والمتشائمة التي تبين طبيعة البشر وتقلب مشاعرهم من الحزن إلى الفرح جاء بالافعال المضارعة (ترى، سيضحك، يبكي، ترى، يضحك، يحدث، ينسى، تشغله، يعرض) فهو يرى ما سيحله باصدقائه من بعده فالحزن لا يكون عميقا وسوف ينسى ويبقى اصحابه في ضحكهم ولعبهم وجاء بالمحسنات البديعيه كالاطباق بقوله (يبكي، يضحك) تعكس تغير المشاعر كذلك المقابله بقوله (ترى صاحبي يبكي) ويضحك من طول الليالي والابيات فيها عقب منه على من سيعيش حياته وينشغل بحياته عن ذكره وقد ساعد على ابراز الصورة البيئية العباسية التي اهتمت بالملبس والمشرب والاطعمة المختلفة، واستمرار الحياة فهي صورة مباشرة تلامس التجربة الإنسانية ممزوجة بالفكرة الفلسفية حول طبيعة الإنسان من حيث الحياة والنسيان.

ويقول الشاعر في صورة سمعيه أخرى[25]:

قد كنت أبكي على من فات من سلفي وأهل ودي جميعٌ غيرُ أشتات
والآن إذ فرقت بيني وبينهم نوى بكيت على أهل الموحيات
وما بفناء أمرئ كانت مدامعه مقسومة بين أحياء وأموات

في هذه الأبيات يقدم العتبي رثاء يحمل شحنة وجدانية والشعور بالحزن وانقسام الذات، وهي تجربة إنسانية عميقة، فجميع من فقدهم بحالتين سواء بالموت أو الاقتران والنتيجة واحدة هو الحزن والدموع والعاطفة الحزينة التي سيطرت على لب الشاعر، لذلك بدأ البيت (قد كنت أبكي) للدلالة على استمرار الألم، ثم (بكيت) للدلالة على ازدياد الحزن وشعور بالفقد.

وجاء الإيقاع الشعري متوانٍ مع تكرار الحروف والأصوات التي تدل على الحزن مثل (النون، والباء، والميم)، مما يعطي شحنة عاطفية حزينة تجمع بين الموت / الفراق الذي يؤدي إلى البعد، ثم الوحدة حتى ولو كان المفقودون أحياء.

ثالثاً: الصور الذوقية

ومن الصور الاخرى الصورة الذوقية او الشمية التي تبعث في أنف الخيال من خلال رائحة مميزة يصفها الشاعر فتواثر على المستوى النفسي والروحي والعاطفي فيظهر الانفعال التاثيري للصور التي تقسم الى قسمين .

1- صور ذوقيه حسيه التي تعتمد على الذوق من خلال وصف مادي فتصور الاطعمة والاشربة وما فيها من حلاوة او مرارة كالعسل والفاكهة والاشربة .

2- الصورة الذوقية المعنوية التي تعتمد على الذوق ولكن دلالاتها مجازية كتصوير المحبوبة او الممدوح بانواع الطعام والشراب وابراز رائحة معينة لتصوير شيء مادي .

وقد ساعد على ابراز الصورة الذوقية وشمية البيئة العباسية التي اهتمت بالملبس والمشرب والاطعمة المختلفة وصورها الشعراء العباسيين بصور مختلف واطعمه متعددة ومن هذه الصور وصف العتبي للخمر الذي كان موجوداً في العصر الجاهلي والاموي ولكنه وصل الى قمته في العصر العباسي بعد انفتاح المجتمع الذي امتزجت مع عادات وتقاليد اقوام غير عربية فكثرت مجالس اللهو والطرب وكانت الخمور حاضرة في هذه المجالس وظهرت قصائد سميت الخمرمات للشاعر ابي نؤاس، والعتبي لا يختلف عن شعراء مجتمعه في وصف الخمر وتاثيرها على الشاربين الذين ادمنوا عليها لذلك يقول [26]:

تخال كؤوسها والليل داج كواكب بين ايدينا تدور

في مجلس ليلي مظلم وبعد ان اثرت كؤوس الخمر في النفوس هذا يشبه هذه الكؤوس بالكواكب التي تدور في السماء فهم في حالة سكر والشعور بعدم الاستقرار حيث تدور الدنيا بهم مثل دوران الكواكب، وهذه الصورة تعتمد على التشبيه الضمني بين الليل الداج الذي يدل على شدة الظلام، ولكن لمعان الكؤوس وحركتها تصبح كالكواكب التي تدور في السماء، وهذا يعطي للمشهد تصويراً وجمال إضافة إلى خلق حوض الابتهاج وخيال لدى الشاعر، ومن الصور المجازية الارض قوله[27]:

خليلي إنَّ الجزع أضحى ترابهُ من الطيب كافوراً وعيدانه رنداً

وما ذاكَ إلا مَشت بجنابه أقيمةَ في شرب وجرَّبه بُردا

صورة معنوية سمعية يصف بها العتبي الجزع الذي هو أمر يأنفه كل انسان ويخشى ان يصيبه وهذا الجزع مجسم في شخصيته الانسان الذي يدفن في الارض ولكن تمتاز هذه الارض برائحة طيبة كاكافور وعيدان البخور التي تسيطر رائحتها على هذه الارض، فهناك تضامن بين المكان والشخصية بحيث تغيرت طبيعة المكان الجغرافيى واكتسبت قيمة معنوية وعزز ذلك استخدام الألفاظ (التراب، الكافور، الرند)، فعززت الصورة الحسية، لأنَّ المدفون في هذه الارض هي اميمة التي حملت في وهي مغطاه بكفنها فالابيات رغم انه بدأها بمخاطبه صاحبه لكنه في حالة من الرثاء لفقده اميمة وحزنه عليها وجاء التجسيم (الجزع) الذي يجعل المتلقي يحس بالصورة احساسا قريبا منه وأمام ناظره حيث تتجسد الصورة بمعاني تعتمد على الحركة والشم والهيئة .

وصورة اخرى شميه معنوية يقول [28]:

وكل لســـاني عن وصـــف ما أجد وذقــت ثــكــلاً مــا ذاقــهُ أحــد
وأوطــنــت حــرُقــه حشـــاي فــقــد ذاب عــلــيــهــا الــفــؤاد والــكــبــد

الأبيات تعبر عن تجربة عاطفية قاسية تحمل طابع وجداني عميق، وإحساس بالاحتراق الداخلي المستمر وتشخيص الألم الداخلي الذي يحسه الشاعر ويوحي بالدوام في رثاء ابنائه حيث توقف اللسان عن وصف ما جرى لان الهم ومصيبة الفقد اكبر في كل الفقد حيث لم يعيشه احد غيره حيث خلق جو نفسي غطى على كل فقد حيث جسد التناغم في المعاني في صورة حزينة فيها من الاحساس بالمعاناة وصلت الى حد الانكسار والاحباط والتازم وعاطفة مشبوبة بالحزن وقد استخدم مفردات غزيرة المعنى ذات عاطفة فياضة صادقة من خلال (ذقت ثكلاً، حرقه، ذاب عليها الفؤاد، الكبد) الاحساس ان العتبي ما زال تحت هول الصدمة والتكرار لفكرة الألم والفجيعة التي مني بها دلت على استغلاله للأدواته الفنيه بهذه بهذه العبارات المكثفة المرتبطة بحدث الموت، وإبراز فكرة واقعية أن كل لذة لا دوام لها، وصورة اخرى يصف بها الدنيا[29]:

وكــل لــذّة دُنــيــا لا دَوام لــهــا وكــل صّـــفــو ســـيــأتــي بــعــده كــدرُ
مــا إن تصـــير إلى شـــيء مكـذبـه الا وفــيــه إذا فــارقــتــه ضـــــررُ

إنَّ قيمة الشعر يكمن في تصوير ما يكون في مخيلة الشاعر ليترك اثر عند المتلقي والعتبي ياتي بكل تجربته الحياتيه في هذه الابيات الدروس التي تعلمها في الحياة، فالدنيا صغيرة في عينيه بفرصها شجنها فعمر الانسان محدود والدنيا مهما اشعت فهي فقاعة قد تكون لطيفة او قبيحة ومقاسيها تتغير والاحوال يتغير ويبقى الالم والشكوى والحزن وكل ما يحصل عليه الانسان من الاحوال والاولاد والملذات لا تدوم ويبقى الكدر الضيق والهم وتجسدت شعرية العتبي الاتيان بالجناس الذي جعله (صفو، كدر) الذي جعله يتارجح بين الفرح والالم ما دام الزمن يمضي من خلال الماضي والانسان يتلقى دروسه فقوله (كل لذة الحياة) هو شعور بنبض الحياة وثم ياتي فقدان الامل والانكسار بقوله لا دوام لها حيث فقدت زمنيتها ثم يبين ان روحه اصبحت سكن بهذه الحياة ثم يفاجيء بانسحابها وفقدانها، وهي فكرة فلسفية تأملية والدعوة إلى الزهد في الحياة وعدم التعلق بالأشخاص أو الأشياء.

وقال الشاعر أيضاً[30]:

تــعــلــم مــن الأفــعــى أمــــان بــطــبــعــهــا وآنــس إذا أوحشـــــت تــعــف عــن الــذم
لئن كــان ســـمٌ نــافع تحــت نــابــهــا ففي لــحــمــهــا تــرقــان غــائــلــة الســـــم

للأفعى قوة رمزية في الثقافة العربية، ويؤكد الشاعر إلى اجتماع الأمران في رمزية الأفعى (الخير والشر)، فهي رمز للخطر والحذر لوجود السم تحت الناب ولكن في المقابل يوجد العلاج فر ترقانها وهو تفكك للصورة النمطية عن الأفعى التي ترمز للشر المطلق ولكنها تحمل في داخلها الخير، جاء بالكناية عندما قال تحت نابها المقصود (السم) الذي هو مصدر الخطر الظاهر، والاستعارة بجعل السم رمزاً للخداع والأذى، وقد يشير الشاعر على التأمل في الحياة والبحث عن التوازن بين الخير والشر اللذان قد يجتمعان في الإنسان، وقد تكون دعوة إلى فهم حقائق الكون والطبيعة، فالأبيات ليست مدحاً بقدر ما هي خيبة أو تعكر أو عجز في تحقيق التوازن الخلاقي الذي ترمز له الأفعى.

وقال أيضاً[31]:

وأمـــيـــر إذا أراد طـــعـــامـــاً قــال غــلــمــانُــه: أتــى الــحــمــامــا
فــيــكــون الــجــوابُ مــنّــيَ لــلــحَــا جــب مــا إن أردت إلا الســـــلامــا

لســـــت آتـيـكُـمُ مـن الـدهـر إلا كُـلَ يَـوم نَـويـتُ فـيـه صـــــيـامـا
إنـنـي قـد جـعـلـت كُـلَ طـعـام كـانَ حـلاً لـكـم عـلـيَ حـرامَـا

النص يحمل الهجاء اللاذع، فالشاعر معتز بنفسه ويرفض التذلل للأمير، وأصحاب السلطة لأجل المنافع الشخصية، وتشير الأبيات إلى استقلالية ذات الشاعر في مواجهة الجماعة، لذلك نرى المفارقات.

فالطعام الحلال ← تحول عند الشاعر عبادة دينية (الصيام).

التركيز على الطعام ← يشير إلى الترف الزائد

الطعام الحلال ← عند الشاعر حراماً ليؤكد عزوفه

النزعة الفردية ← تواجه جماعة السلطة

الذات المستقلة ← مواجهة الجماعة

ترف الأمير ← يقابلها زهد الشاعر

فالأبيات كلها تنتقد التكبر الاجتماعي عند الأمير وتجحد الكرامة الشخصية عند الشاعر وبيان تفضل الكرامة على كسب رضا أصحاب النفوذ.

الخاتمة :

لان البحث محدود فقد اختير صوراً من بين كثير من الصور المختلفة وكان الاختيار بحسب ما وجده الباحث من الابيات المؤثرة اكثر من غيرها .

1- الحزن ظاهرة موجودة عند كل الشعراء وفي كل العصور والامم، والبكاء أصبح حالة وجودية مستمر.

2- لم تمر على اي شاعر المصائب كما مرت على العتبي بفقده اولاده الستة وبعض احبابه واصدقائه فاصبح الحزن سمه في شعره كما كان سمه في شعر الخنساء .

3- الحزن كان منبعث في الم حقيقي عاشه الانسان وعبر عنه الشاعر وهو عاجز امام قدرتة الله، ويؤدي إلى فهم أعمق للناس والحياة.

4- الاستسلام للقدر واضح عند العتبي وقد ظهر جليا وهو يواجه مصاعب الحياة وشظفها والانين الممتزج بالاسى .

5- الوعي بزوال الدنيا وأن كل المتع وقفية لذلك هناك دعوة للسمو الأخلاقية .

6- من خلال بعض الأبيات يدعو الشاعر إلى التأمل في الحياة والزهد والإيمان بهشاشة الحياة .

7- اكتساب الحكمة من خلال استمرار المعاناة والتجربة الإنسانية التي تتجاوز ظاهرها إلى دلالة أوسع .

الهوامش :

(1) الفهرست، لأبي الفتح محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بابن النديم المتوفى سنة (328هـ)، ضبطه وشرحه وعلق عليه: د. يوسف علي طويل، وضع فهارسه : أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ج176/1.

(2) ينظر العمدة في صناعة الشعر ونقده، الحسن بن رشيق القيرواني، الناشر مطبعه أمين هندية، 2020، 281-282

(3) ينظر: الصورة الشعرية في النقد الحديث، بشرى موسى صالح المركز الثقافي العربي، ط 1، 2016 : 212

(4) ديوان العتبي : جميع وتحقيق الدكتور مجاهد مصطفى للبحث، معهد المخطوطات العربية العربية، السلسلة المحكمه (44) ط 1 : 65

(5) الحيوان : عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، المكتبه الوقفية، الناشر مصطفى البابي الحلبي، ط 2، 2008، 132/3

(6) ينظر الصورة الفنية في شعر ابي تمام : 16.

(7) ينظر الصورة الفنية في شعر أبي تمام، عبد القادر الرباعي، المؤسسه العربيه للدراسات والنشر، ط 2، 1999، الاردن : 15–16

(8) الحيوان : عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، المكتبه الوقفية، الناشر مصطفى البابي الحلبي، ط 2، 2008 : 320/2

(9) ديوان العتبي : 65.

(10) ينظر الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة بين عامي 1948–1975 (دراسة نقدية)، طالح خليل ابو اصبع جامعة فيلاديفيا، 32 القريشي (ت 228 هـ)

(11) ديوان العتبي : 83.

(12) زرياب مقبول العلوي، دار الساقي للنشر والتوزيع، 2014: 23.

(13) ديوان العتبي القريشي : 26.

(14) ديوان العتبي القريشي : 83.

(15) ديوان العتبي القريشي : 41

(16) الشعر والحياة العامة : م، ل، رزنتال، ترجمه ابراهيم عيسى الشهاي، مراجعة عبد الحسين، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، سوريا، 1983 : 9

(17) ديوان العتبي القريشي : 82.

(18) ينظر: مبادى النقد الادبي والعلم والشعر، ريتشارد، ترجمه مصطفى بدري، 2012 : 182

(19) ديوان العتبي القريشي : 74.

(20) ينظر الشعر والحياة العامة : 9

(21) ديوان العتبي القريشي : 40

(22) ينظر الزمن الوجودي، عبد الرحمن بدوي، مكتبه النهضة المصرية، 1955 : 97.

(23) ديوان العتبي القريشي : 42.

(24) ديوان العتبي القريشي : 45.

(25) ديوان العتبي القريشي : 33.

(26) ديوان العتبي القريشي : 55.

(27) ديوان العتبي القريشي : 42.

(28) ديوان العتبي القريشي : 36.

(29) ديوان العتبي القريشي : 36.

(30) ديوان العتبي القريشي : 86

(31) ديوان العتبي القريشي : 60.

المصادر :

- ابراهيم عيسى الشهاي. (1983). الشعر والحياة العامة م.ر. رزنتال. سوريا دمشق: مراجعة عبد الحسين منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي .
- بشرى موسى صالح. (2016). الصورة الشعرية في النقد الحديث.
- الحسن بن رشيق القيرواني. (2020). ينظر العمدة في صناعة الشعر ونقدة . مطبعة الامين هندية.
- ديوان العتبي. (بلا تاريخ). جمع وتحقيق الدكتور مجاهد مصطفى للبحث. معهد المخطوطات العربية السلسلة المحكمة (44).
- الرباعي، عبد القادر (1999) ينظر الصورة الفنية في شعر ابي تمام . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط2.
- زرياب مقبول العلوي، دار الساقي للنشر والتوزيع، 2014

- طالح خليل ابو اصبع. (1948–1975)، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة . فيلاديفيا، القريشي (ت228 هـ) .
- عبد الرحمن بدوي. (1955). ينظر الزمن الوجودي. مكتبة النهضة المصرية .
- عبد القادر الرباعي. (1999). ينظر الصورة الفنية في شعر ابي تمام . الاردن : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط2 .
- لأبي الفتح محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بابن النديم المتوفى سنة (328هـ)، الفهرست، ضبطه وشرحه وعلق عليه: د. يوسف علي طويل، وضع فهارسه : أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية
- مصطفى البابي الحلبي. (2008). الحيوان : عمر بن بحر الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون، ط2 .
- مصطفى البدري. (بلا تاريخ). ينظر مبادئ النقد الادبي والعلم والشعر ريشارد. 2012.

المستخلص باللغة الانكليزية

This research aims to study the artistic image in Al-Uqbi Al-Abbasi's Diwan، which was sized by Dr. Mujahid Mustafa Bahjat، and Dr. Yunus Al-Samarrai added some texts on it، and Al-Atbi is an Abbasid poet whose roots extend to the Umayyad house. His poetry is in the elegy of his sons who died one after the other in the plague.